عبد المالك مغشيش

جامعة الطارف

الخطاب الروائي الجزائري بين تمجيد الثورة ورهانات المستقبل (رواية "اللاز" للطاهر وطار أنموذجا)

ملخص:

شكلت أعمال الروائي الراحل "وطار" علامة شامخة أضاءت مختلف دروب المسيرة الروائية الجزائرية، ذلك أن رحلته الإبداعية يمكن أن تشكل بوصلة تؤشر على معطيات الإبداع الباحث في الخصوصية الإيديولوجية والفنية بشكل عام، بدءا من أول أعماله الروائية "اللاز" التي تشيد بناءها بالارتكاز على المثل الشعبي (ما يبقى في الوادي غير حجاره) لكشف المسكوت عنه داخل المجتمع الجزائري وهو الجسر الرابط بين ما حدث من صراعات في أوساط صفوف جيش التحرير من جهة، والمجتمع الحديث الذي تحكمه المفارقات والمتناقضات ويهيمن على واقعيته ضبابية الجهل والخيانة من جهة ثانية.

الكلمات المفتاحية: **الخطاب الروائي الجزائري ، تمجيد الثورة، رهانات المستقبل**، الطاهر ورطار

مقدمة :

لقد أعلن الروائي الجزائري "الطاهر وطار" من خلال تجربته الإبداعية التي استقطبت السرد التراثي بأشكاله المختلفة وألوانه المتباينة عن انحيازه إلى الواقعية الاشتراكية كمذهب أدبي يقوم على شعبية الأدب، وقد برز هذا الانتماء في أغلب أعماله الروائية التي حاولت أن ترصد حركة التحرير الوطني في الجزائر وربطها بالتحولات الاجتماعية بكل تعثراتها.

و شكلت أعمال الروائي الراحل "وطار " علامة شامخة أضاءت مختلف دروب المسيرة الروائية الجزائرية، ذلك أن رحلته الإبداعية يمكن أن تشكل بوصلة تؤشر على معطيات الإبداع الباحث في الخصوصية الإيديولوجية والفنية بشكل عام، بدءا من أول أعماله الروائية "اللاز" التي تشيد بناءها بالارتكاز على المثل الشعبي (ما يبقى في الوادي غير حجاره) لكشف المسكوت عنه داخل المجتمع الجزائري وهو الجسر الرابط بين ما حدث من صراعات في أوساط صفوف جيش التحرير من جهة، و المجتمع الحديث الذي تحكمه المفارقات والمتناقضات ويهيمن على واقعيته ضبابية الجهل والخيانة .....من جهة ثانية .

- الرواية الجزائرية بين التاريخ الثوري والواقع الإجتماعي:

عاشت الرواية الجزائرية منذ الاستقلال مرحلة مهمة خطت بنوعية الكتابة درجات أكدت من خلالها وجود وعي ذاتي وجماعي،وقد كان هذا الوعي أساس الصراع الأيديولوجي والاجتماعي والثقافي...الذي اصطبغت به الكتابات الروائيةالحاملة لذاكرة الثورة والمواجهة لأزمات الإستقلال وما بعده.

لم يكن تشكيل الصراع الأيديولوجي الحامل لهموم المثقف الجزائري من خلال الرواية نظرة تبسيطية مناقشة ومحللة؛ وإنما استدعت الكتابة الجديدة تجاوز المعهود والانزياح عن المألوف نحو ما يمثل الوعي الخاص اتجاه أحداث مخاض الكتابة الجديدة .

إن الرؤية الواعية اتجاه الأيديولوجيا، التاريخ، وحتى الانطباعات الذاتية(النفسية)، قد شكلت دلالات سطحية أوعميقة انبنت بطريقة مؤطرة وغير مؤطرة، عن طريق اللجوء إلى أزمنة التاريخ وشخصياته وحديث الذات التي تبوح بما عانته من اضطرابات وتكتلات نفسية. وكذلك بالاعتماد على التحولات الأيديولوجية المصاحبة لمجريات أحداث واقعية عاشها المجتمع .

وباعتبار المادة الاجتماعية الواقعية بؤرة النص الروائي الممثل للهزيمة والصدمة والحرية والفضيحة... [1] نستطيع القول إن الرواية الجزائرية قد انفتحت على فضاءات شاسعة للتعبير على الواقع التاريخي والواقع الإنساني الأيديولوجي والاجتماعي والنفسي... بكل أبعاده ودلالاته.

وقد انعكس ذلك في اللغة ، الشخصيات، تضارب الأزمنة والأمكنة...وغيرها من مستلزمات الانزياح عن المألوف في الكتابات السردية عامة والروائية على وجه الخصوص؛ باعتبارها(أي الرواية):<<نمط أدبي دائم التحول والتبدل، يتسم بالقلق بحيث لا يستقر على حال، وكل عمل روائي يجاهد بدرجات متفاوتة في قوتها ودقتها الفنية، لكي يعكس عملية للتغيير الدائبة، بل وحتى الدعوة للتغيير في بعض الأحيان >>[2].

<u>-الرواية الجزائرية و التفاعل الحداثي بين الموروث و الواقع:</u>

استطاعت الرواية العربية عموما و الجزائرية على وجه الخصوص، أن تتخلص من هيمنة الأشكال القصصية القديمة التي كانت مسيطرة على الساحة الإبداعية النثرية قبل الاتصال بالغرب، كما استطاعت –بعد صحوة إبداعية– أن تنفصل عن الرواية الغربية التي هيمنت عليها مدة ليست بالقصيرة، لتواكب –

بعدها– كل المستجدات والإبداعات السائرة في طريق النمو والنضوج.

وحتى تبقي الرواية على نفسها في الذاكرة الثقافية العربية وتحافظ على أصالتها كفن أدبي عربي؛ أبقت على الموروث وارتكزت عليه واشتغلت على أشكاله الإبداعية (ومنها السردية) بتقنيات أسلوبية مختلفة فخرجت بذلك عن دائرة الاجترار المغلقة إلى طريق التفاعل والانفتاح ، ثم مزجته (أي الموروث العربي،ومنه المحلي) بالموروث الإنساني فانطلقت به إلى مدارج العالمية .

وحتى يكون الاشتغال بالموروث الفني فعل استراتيجي حداثي؛ عمد الروائي إلى استحداث آليات فنية لقراءة النص التراثي وتوظيفه، فتم تحويل الحكاية القديمة شعبية كانت أم تاريخية أم أدبية لتتناسب ومجريات الواقع الذي يعيشه المبدع والقارئ على حد السواء أو لتعبر عن رؤية أيديولوجية أو اجتماعية تاريخية أو عن منظور فني إبداعي خاص لإنتاج خطاب روائي جديد.

إن المادة الحكائية المطروحة أمام الخطاب الروائي تضم – حسب نظريات السرد الحديثة– معطيات أساسية يشكلها الحدث أو الفعل، والشخصية أو الفاعل، والزمن والفضاء المكاني ، وهي تختلف باختلاف الإمكانات الفردية والجماعية التي قد يفرضها الواقع أو التاريخ. كما أنها تتغير تبعا للتغيرات الحاصلة عبر مسيرة الزمن الإنساني من النواحي الاجتماعية والثقافية والفنية والأدبية...

إن التحولات التي عرفها الخطاب الروائي عبر تاريخ تواجده تظهر متغيرات فنية جمالية على مستوى النص أي على مستوى آليات تحويل المادة الحكائية إلى خطاب، وهنا تبرز الخصوصية الفردية غير الاشتراكية، كما تبرز متغيرات دلالية محملة بثقل معرفي وتاريخي وأيديولوجي قد تشترك الجماعة في تعاطيه بحكم انتمائها إلى فترة زمنية معينة .

وقد تتداخل الأزمنة وتنفتح النصوص بعضها على بعض فيحدث احتكاك وتفاعل، وقد يعود النص

القديم من الماضي السحيق فيتعلق بالنص الجديد ويتزود بفنيات جديدة تجعله في حد ذاته معطى جمالي ينمو به الخطاب الروائي، أو قد يكتسب دلالات جديدة تعكس الواقع الاجتماعي والأيديولوجي والثقافي المتعلق بالزمن الذي وجد فيه النص الجديد وهو يختلف حتما عن الواقع الذي أنتج فيه النص القديم ،فيصبح استدعاء النص هنا قناعا يختفي وراءه المبدع ليبوح عن المحضور .ويتم هذا الاستدعاء إما للماثلة أو التحويل .

فقد أعلن الروائي "الطاهر وطار" من خلال تجربته الروائية التي استقطبت السرد التراثي الشعبي بأشكاله المختلفة وألوانه المتباينة عن انحيازه إلى الواقعية الاشتراكية كمذهب أدبي يقوم على شعبية الأدب. وقد برز هذا الانتماء في أغلب أعماله الروائية التي حاولت أن ترصد حركة التحرر الوطني في الجزائر، والتحولات الاجتماعية بكل تعثراتها، كما تشكل أعماله علامة شامخة أضاءت مختلف دروب المسيرة الروائية الجزائرية، ذلك أن رحلته الإبداعية يمكن أن تشكل بوصلة تؤشر على معطيات الإبداع الباحث في الخصوصية الإيديولوجية والفنية بشكل عام، بدءا من أول أعماله الروائية "اللاز" التي تشيد بناءها بالارتكاز على المثل الشعبي (ما يبقى في الوادي غير حجاره) أي "عودة الأشياء إلى أصولها"لكشف المسكوت عنه داخل المجتمع الجزائري وهو الجسر الرابط بين ما حدث إبان الإحتلال الفرنسي في أوساط جيش التحرير الوطني و المجتمع الحديث .

إن المراجعة الموضوعية لأثر التراث الشعبي بمختلف أشكاله وأنواعه ووظائفه في الرواية العربية المعاصرة تكشف بقوة ووضوح أن التراث بعامة والشعبي منه بخاصة خلق للحياة والخلود، يحتضن التجربة ويقدم الرؤية في أسلوب قوامه التلميح والترميز، ولغة أساسها الإيجاز والتكثيف تشع بالإيحاء والظلال في إحالة بليغة ومستمرة على ما عداه من العوالم و الفضاءات.

إن التوجّه إلى التراث السردي الشعبي والاستعانة به في تشكيل معالم النص الروائي الجزائري لم يكن

وليد الترف أو العبث الفكري، إنما كان لحاجة ملحة هي الباعث والمحرك. فقد وجد المبدع الروائي في النص الشعبي النموذج والمثال، والملجأ والملاذ، يعبر بواسطته عن جراح الذات والجماعة وتصدعات الواقع، كما يجسد من خلاله القهر الروحي الناجم عن اختلال القيم، والكبت الفكري الناتج عن الفساد الاجتماعي، ويفضح الاستبداد السياسي من خلال ضياع الحقوق وغياب العدل، فيستعين به على الخروج من مستنقعات الواقع الآسن إلى رحاب آفاق الخيال الواسعة النقية يستمد من قواها ويتزود بقيمها لمجابهة الحتمية. يفعل ذلك وهو راغب في ربط القديم بالمعاصر، الغائب والشاهد، كما يسعى إلى تبصيرنا بتجربته الفكرية والشعورية الضاربة في أعماق الوجود الإنساني التليد. فالتراث لم يستنفد أغراضه بعد، على الرغم من الفوارق الزمنية والمادية الكبيرة والعميقة التي تفصلنا عنه في عالم المادة.

ويستوقفنا ما قاله الأديب "الطاهر وطار" في خضم التقديم لروايته "اللاز " من خلال البدايات الزمنية الأولى لإبداعه الروائي، و أنه فكر فيها في شهر سبتمبر 1958 وشرع في كتابتها في شهر ماي سنة 1965 وأنجزها خلال سبع سنوات أي من سنة1965حتى سنة1972،وهنا قد يضن الدارس أن هذه الفترة الزمنية قد أثرت في الرواية إلا أن القارئ لها يجد أنها مترابطة في نسق متميز من حيث التصميم والسرد وبذلك فهي عمل فني متميز.

ولكن لعل أمانة الأديب لحقيقة خلفه الفني هي التي دعته إلى أن يمهد لنا بهذا التمهيد المفيد لنا مع ذلك.أضف إلى هذا أننا لا نشعر معه بعقدة الذنب التي أشار إليها في مقدمته أيضا لأن الرواية في ذاتها وأن كانت تتحدث عن الماضي إلا أنها تنير الحاضر وتسهم في ازدهار المستقبل وتدل على إخلاص الكاتب وأصالته[3].

ويفتتح الأديب روايته بهذا المشهد:أناس من رجال الثورة ونسائها يصطفون في الصف الطويل أمام مكتب المنح ليقبضوا ما خصص لهم من جرايات ولينتهزوا هذه الفرصة ليتذكروا شهداءهم.وكم هي جميلة ومعبرة لفتة الكاتب هنا عندما يقول متأسفا: << انهم كعادتهم،كلما تجمعوا في الصف الطويل،أمام مكتب

المنح،لا يتحدثون إلا عن شـــهدائهم،والحق أنه ليس هناك،غير هذه الفرصـــة،لتذكرهم،والترحم على أرواحهم،والتغني بمفاخرهم..فهم ككل ماض يســـيرون إلى الخلف،ونحن ككل حاضـــر،نســـير إلى الأمام...لعل هذا اليأس المطبق من التقاء الزمانيين،ما يجعلنا لا نهتم إلا بأنفسنا،أنانيين نرضى أن يتحول شـــهداؤنا الأعزاء إلى مجرد بطاقات في جيوبنا،نســـتظهرها أمام مكتب المنح،مرة كل ثلاثة أشـــهر.. ثم نطويها مع دريهمات في انتظار المنحة القادمة... >>[4].

ولا يخفى ما في هذا القول من مرارة وسخط على أولئك الناس الذين ينسون شهداءهم ولا يذكرونهم إلا عندما يكونون ســـببا لنفع مادي يتلقونه كل ثلاثة أشـــهر،والكاتب رائع في تعبيره عن ألمه عندما يشـــبه الشهداء الأعزاء عليه وعلى الجميع ببطاقات المنح! .

هذا ما قدمه لنا الأديب من خلال روايته التي يتحدث عن أبعادها الاجتماعية والثورية والعقائدية التي رمى إليها .

وتنتهي الرواية من حيث تبتدىء، وكل ما يحدث بين البداية والنهاية حدث في << أثير الذاكرة الجمعية التي تدور حول ذاتها وتخلق ذاتها شخصا، وتعطيه اسم اللاز والأخير مرآة الشعب والشخص الذي يروي عنه الشـــعب حكاية أو حكايات. لقيط تمرغ في كل تراب دنس وقديس تســـكنه البراءة. إنه الغامض الذي يجعله زمن الشدة واضحا. يبدأ بالأذى ويصبح صورة له، ثم تستيقظ الحكمة فيه وتمسح ما علق به من غبار>>[5] ، ليصبح بطلا يغوص في أعماق الثورة، مناضلا في سبيل أهدافها ومدافعا عن مبادئها<< حتى إذا ما تفككت أوصال هذه الثورة وأضحت أشلاء في زمن الارتداد بقيت فيه مشتعلة أو بقي مشتعلا يذكر بثورة مضت>>[6] " ، فاللاز إذن امتداد للثورة واستمرار لها حتى بعد انتهائها زمنيا، وذلك ما تفصح عنه الرواية في سطورها الأخيرة<< إنك الآن أفضلنا جميعا ياللاز لأنك لا تحس بشيء، لأنك ما تزال تعيش الثورة بل لأنك الثورة>> [7] .

ومن هنا فالروائي عمل على استيعاب قضايا الشعب الثائر، ثم عرضها في قالب فني إبداعي من خلال رؤية اجتماعية واقعية ناضجة. استمدت خصوبتها من واقع المجتمع بكل سلبياته وإيجابياته. واقع ظلت تحكمه المفارقات وتهيمن على يومياته المثقلة سحابة قاتمة من التناقضات، حيث يوجد جنبا إلى جنب الانحلال الخلقي والبطولة، الغيرة على الدين وتجاهل قيمه، الجهل والوعي، الإخلاص والخيانة، التعفف والطمع، ... وهذا الواقع بكل مفارقاته وصوره المتباينة.

- أمثولة "اللاز "(التجدد المستمر للواقع المعاش) وتحفيز السرد الروائي:

تبدو الرواية من خلال سردها البسيط ومضامينها المطروحة بطريقة الإخبار والتمثيل أمثولة تجسد إمكانات المبدع التاريخية و الثقافية وقدراته على المزج بينها في جنس إبداعي سردي جديد استلهم المثل كبنية سردية موروثة تحمل طابعا خاصا أساسه الترميز والقناع وهدفه المغزى والحكمة والاتعاظ لأجل تحقيق غايات سامية منطلقها تغيير الواقع .

وعليه فإن الرواية تسعى إلى تسليط الضوء على المسكوت عنه في الثورة الجزائرية وإماطة اللثام عن الصراع الذي حدث في صفوف جيش التحرير الوطني إبان الثورة. كما تجسد وعي المبدع واستيعابه قضايا مجتمعه و عرضها في قالب فني إبداعي من خلال رؤية واقعية ناضجة استمدت خصوبتها من ذلك المجتمع الذي ظلت تحكمه المفارقات وتهيمن على وقائعه ضبابية المتناقضات أين يتواجد الجهل والوعي، الإخلاص والخيانة، الانحلال الخلقي والبطولة، الغيرة على الدين وتجاهل قيمه، التعفف والطمع ...

هذه المفارقات بصورها المتباينة والمختلة جسدتها شخصيات أو أبطال حكاية أمثولة "اللاز" التي بدت من خلال أدوارها عفوية تلقائية لا تخضع لتخطيط مسبق يحكمها كما أنها لم تكن على درجات متماثلة من الوعي الذهني أو الانتماء الاجتماعي، فعلى مستوى المتخيل الروائي نجد شخصية الفلاح والتاجر قدور والعامل حمو والمثقف زيدان وكذلك اللقيط اللاز الذين ساهموا بأدوارهم في نسج خيوط الرواية

باعتبارها حكاية درامية،كما نجدهم على مستوى الواقع التاريخي شخصيات وقفت وراء تفجير الثورة الشعبية المجيدة، فاللاز<< كان قمة التلقائية دون أن يكون له هدف خاص ودون أن يشغل فكره بهدف غير مرئي>>[8] كذلك حمو ، الفقير والبائس<< لم تقنعه كل الشروح بأهمية السياسة والثورة، فأدرك الحقيقة من خلال المثل الشعبي السائر (ما يبقى في الوادي غير حجاره) هكذا وبكل تلقائية وبساطة>>[9].حتى بعطوش الخائن الذي قام بأبشع الأعمال في حق أبناء قريته و استغل ظروف الثورة لتحقيق مآربه الشخصية << أدرك هذه العفوية وتلك التلقائية ..فاشترى نفسه وطهرها من درن الإثم والخيانة>>[10].

وإلى جانب هذه التلقائية والعفوية في التعريف بشخوص الأمثولة يتجلى القناع والرمز الذي صبغ شخصية اللاز باعتباره الركيزة التي تسير وفق سلوكاتها وعلاقاتها أحداث الحكاية ، فقد ركزت الرواية في أغلب مراحلها وخطواتها على العلاقة التي تربط المثقف والمناضل الشيوعي زيدان باللاز الذي صنعت منه الظروف إنسانا منحلا، صعب المراس فكان << وصمة عار على جبين القرية بسبب ما اتسم به سلوكه من انحراف >>[11]. لكنها تجسد بين ثنايا سردها أحداثا تثبت أن اللقيط اللاز بطل يحمل مبادئ الثورة و يغوص في أعماقها ويدافع عنها بما أوتي من قوة وعزيمة << حتى إذا ما تفككت أوصال هذه الثورة وأضحت أشلاء في زمن الارتداد بقيت فيه مشتعلة أو بقي مشتعلا يذكر بثورة مضت >>[12]. لقد أحدث<<أثير الذاكرة الجمعية التي تدور حول ذاتها وتخلق ذاتها شخصا، وتعطيه اسم اللاز والأخير مرآة الشعب والشخص الذي يروي عنه الشعب حكاية أو حكايات. لقيط تمرغ في كل تراب دنس وقديس تسكنه البراءة. إنه الغامض الذي يجعله زمن الشدة واضحا. يبدأ بالأذى ويصبح صورة له، ثم تستيقظ الحكمة فيه وتمسح ما علق به من غبار>> [13]، فاللاز الشخصية الرمز التي تمثل ،رغم ما تحمله من صفات خارجية سيئة، امتداد للثورة واستمرار لها حتى بعد انتهاء وقائعها تاريخيا وانقضاء زمانها، وذلك ما تفصح عنه الرواية في الأخير : << إنك الآن أفضلنا جميعا ياللاز لأنك لا تحس بشيء، لأنك ما تزال تعيش الثورة بل لأنك الثورة >>[14]

.

لقد تشبعت الرواية بمغزى المثل الشعبي " ما يبقى في الواد غير حجاره" ، وشكلت على أساسه حكاية جديدة تختلف عن الحكاية المنبع ، لكنها قد توافقها من حيث أنها حكاية صنعتها الذاكرة الشعبية عن تجربة وحدث واقعي ، وأنها منشأ هذا المثل السائر على ألسنة من عاشوا تجارب إنسانية سابقة ومن صنعوا تجارب جديدة ملائمة للمغزى والحكمة السابقة التي حملها المثل كموروث عن السلف، من هنا شرع للرواية أن تصبح أمثولة تحكي تجربة واقعية وترمز لها بأقنعة لبستها شخصيات الحكاية وكانت شخصية"اللاز" على رأسها وتأويلات ترددت على ألسنتهم واختارت لتركيز المعاني وتكثيفها صيغة نظامية جاء وفقها المثل مرتلا بطريقة تعاقبية داخل الرواية بتعاقب أحداثها المتجددة حتى يكون للتشويق مشروعية و دلالة فنية .

وعليه يتضح أن الرواية التي أخذت مشروعيتها كأمثولة قد أسست عالمها السردي بوظائفه الدلالية والفنية الجمالية على هذا المثل الشعبي ، فهو المنبع الذي زودها بمصداقيتها الشعبية بعد أن أعلن عنوانها انتماءها للبيئة الشعبية الجزائرية حتما ؛ ذلك أن لفظة "اللاز" هي لفظة جزائرية محلية <<مما لا ينتمي إلى لغة الضاد في أي وجه من وجوه الاشتقاق والوضع >> [15]تحيل إلى الأوساط الشعبية والطبقات البسيطة من المجتمع وهي الأوساط التي تنبع عنها تلك الأشكال الفنية التي تنتمي إلى ما يسمى "بالأدب الشعبي " .

وقد تنامى التحفيز القصصي داخل الأمثولة الشعبية "اللاز" من خلال استمرارية تردد المثل عبر تصاعد الأحداث في السرد متخذا في ذلك مدلولات متنوعة ومعاني متجددة تتفاعل مع مجريات الأحداث فتتنامى بتناميها وتصاعدها، لذا كان عنصرا فاعلا ومؤثرا في الخطاب السردي للأمثولة وموجها له، فبوصفه عصارة تجربة الأسلاف تردد المثل عبر الألسنة واصفا ظروف الثورة ومجرياتها وحاملا لجذوتها بعدما عاشر أبطالها وكان كلمة السر المتداولة بين مناضليها؛ يقول حمو مخاطبا اللاز : <<إنك تعرف كل شيء

عدا تهريب الجنود الجزائريين من الثكنة. سيأتيك الأخ المناضل المكلف بهم ودورك أن تخبر أحمزي بالموعد الذي يخرجون فيه، الباقي لا يهمك كلمة السر بينك وبين المناضل هي : ما يبقى في الواد غير حجاره يقولها ثلاث مرات ... دخل اللاز ثملا قذرا، إحدى عينيه زرقاء من أثر معركة يبدو أنه لم يخرج منها إلا لحينه، وهو يردد كما لو أنه يهذي بأغنية بحار استيقظ من السكر. ما يبقى في الوادي غير حجاره >>[16].

وبعد مرور وانتهاء زمن الثورة التي أصبحت موعظة لمن يتعظ ، اتخذ المثل دلالات جديدة لها علاقة بواقع ما بعد الثورة ،فقد جاء كإدانة للحاضر الذي ارتهنته حقائق مزيفة وصار فيها صناع الثورة بالأمس مجرد بطاقات على مكاتب المنح في زمن اليوم إنه مصير مأساوي جسده قول الشيخ الربيعي:<< إنهم كعادتهم كلما تجمعوا في الصف الطويل، أمام مكتب المنح لا يتحدثون إلا عن شهدائهم، والحق أنه ليست هناك غير هذه الفرصة لتذكرهم والترحم على أرواحهم والتغني بمفاخرهم ... فهم ككل ماض يسيرون إلى الخلف، ونحن ككل حاضر نسير إلى الأمام ... لعل هذا اليأس المطبق من التقاء الزمانين، ما يجعلنا لا نهتم إلا بأنفسنا أنانيين نرضى أن يتحول شهدائنا الأعزاء إلى مجرد بطاقات في جيوبنا، نستظهرها أمام مكتب المنح، مرة كل ثلاثة أشهر ... ثم نطويها مع دريهمات في انتظار المنحة القادمة >>[17].

وسط أحداث واقع اليوم يجد المثل مكانه ويظهر كحافز يوجه السرد نحو مسار مغاير يعلن فيه على لسان "اللاز" أن الجزائر وطن لمن هم أحق به، ليصبح شعارا يرفعه في وجه الواقع ويهذي به أمام مكاتب المنح فقد<< ظل اللاز لحظات يقف مشهودا لا يصدق عينيه، وعندما انفجرت الدماء من قفا أبيه صاح في رعب : (ما يبقى في الوادي غير حجاره)ثم ارتخت كل عضلاته، ودارت به الأرض، ومد يديه يحاول التشبث بشيء ما،ثم هوى >>[18].

ومن هنا فرواية "اللاز" تؤسس عالمها السردي انطلاقا من المثل الشعبي " ما يبقى في الوادي غير حجاره ." وهو نص يعلن انتمائه للبيئة الشعبية بعناصرها المختلفة ابتداء بالعنوان اللاز. فالعنوان ذاته "

ذو نزعة شعبية ثابتة شكلا ومضمونا، سطحا ودلالة،و بالرغم من أن لفظ " اللاز " مما لا ينتمي إلى لغة الضاد في أي وجه من وجوه الاشتقاق والوضع[19] .

وكما أسست الرواية على الذاكرة الشعبية فاستلهمت منها المثل الشعبي السابق الذكر لتشيد عبره ومنه عالمها السردي، في مفتتح الرواية وفي ختامها حيث تنهي صفحاتها به، ولذلك تكون الجملة الأولى في الخاتمة هي :"هات بطاقتك يا عمي الربيعي" ، يستيقظ الشيخ،ويقول : في البدء لم أكن أطيق النظر إلى هذا الشاب الخائن، لكن ها أنا أتعود شيئا فشيئا. الدوام يثقب الرخام "[20] .

إلى جانب كل هذا،فرواية الطاهر وطار"اللاز" تمتاز بكل عناصر الكتابة الثورية والفن القصصي الأصيل الممتع.رواية رائعة،قوية الحبكة والأداء،سلسة العبارة،بارعة في التصوير الواقعي والتعبير الإيحائي،تمجد النضال كما تمجد الحفاظ على المبدأ وترسم لنا وجها عنيفا صادقا من وجوه الثورة الجزائرية الخالدة" [21].وتبقى هذه االرواية نموذجا عاليا للأدب الجزائري الحديث.

<u>الإحالات والهوامش:</u>

[1] – ينظر: عمر محمد الطالب : الخطاب الروائي العربي الجديد والتراث(الأسس النظرية لكتابة النص الروائي من جيل نجيب محفوظ إلى جيل الغيطاني، كتابات معاصرة، مجلة الإبداع والعلوم الإنسانية،العدد6،المجلد2، جامعة الحسن الثاني، المغرب ، ص 49.

[2] – ألان روجر،الرواية العربية: مقدمة تاريخية ونقدية،ترجمة حصة إبراهيم منيف، المجلس الأعلى للثقافة المشروع القومي للترجمة،1997، ص 07 .

[3] – جودت الركابي : قصة "اللاز" للطاهر وطار دراسة تحليلية ،مجلة الثقافية ،الجزائر،عدد 33 ، 1976.

[4] – الطاهر وطار، اللاز،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر، ط 3 ، 9.

[5]–فيصل دراج: دلالات العلاقة الروائية، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق، ط1، 1992 ، ص 220.

[6]–نفسه، ص 220.

[7]–الطاهر وطار، الرواية ، ص277.

[8]–يوسف الصميلي: رواية اللاز للطاهر وطار، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 26، س 1982/4، بيروت ص214.

[9] – نفسه، ص214 .

[10]– نفسه،ص 214 .

[11]– الطاهر وطار:رواية اللاز ، ص164.

[12]– فيصل دراج: المرجع السابق، ص220.

[13] – نفسه،ص220.

[14] – الطاهر وطار، رواية : عناصر التراث الشعبي في اللاز : دراسة في المعتقدات والأمثال الشعبية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص10.

[16] – الطاهر وطار، الرواية، ص 52

[17] – الرواية، 9.

[18] – الرواية، 273.

[19]–عبد المالك مرتاض، المرجع السابق، ص10 .

[20]– فيصل دراج، المرجع السابق، ص 218

[21]– جودت الركابي : قصة "اللاز" للطاهر وطار دراسة تحليلية ،مجلة الثقافية ،الجزائر،عدد 33 ، 1976.